

سلسلة أعمال القلوب (٢)

النفاق

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

النفاق، محمد صالح المنجد - الخبر ١٤٣٠ هـ

٦٣ ص، ١٧×١٢ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٤٧-١٥-٦

١- النفاق أ. العنوان

١٤٣٠/٤٠٥٠

ديوي: ٢٤٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



ل لنش ر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مَجْمُوعَةُ الزَّادِ

سلسلة أعمال القلوب (٢)

النفاق



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن النفاق داء وبيل، وانحراف خطير، وشر مستطير، وهو
من أخطر الأمراض التي تفسد القلب إن لم يكن أخطرها،
والإنسان لا يرضى لنفسه النفاق غير أنه قد يقع فيه من حيث لا
يشعر، وبالأخص النفاق العملي، وهذا لا يعني أن يقف الإنسان
عاجزاً عن مواجهته، ويخطئ من يستهين به دون أن يحصن نفسه
منه؛ لأنه يسلب من الإنسان كل صفات الخير، ويحرمه من فعل
الصالحات، ويتزع منه كل القيم السامية؛ حتى يجعله منبوذاً
مدحوراً. وقد جاءت سور القرآن بكشف أهله، وذكر صفاتهم.

وستتطرق في هذا الكتاب إلى تعريف النفاق، وذكر
أنواعه، وبيان صفات المنافقين، وسبل الوقاية منه.

أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد صالح المنجد

تعريف النفاق

النفاق لغة:

(نفق) النون والفاء والقاف أصلاً ن صحیحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه. مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يُستتر فيه، وسمي النفاق بذلك لأن المنافق يستر كفره^(١).

والنفاق [اصطلاح شرعي] لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وإن كان أصله معروفاً في اللغة العربية.

النفاق شرعاً:

إظهار الخير وإسرار الشر.

نقل عن ابن جريج قوله: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه^(٢).

(١) انظر: لسان العرب (٣٥٧/١٠)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٧٦/١).

أنواع النفاق

النفاق ينقسم إلى نفاق أكبر ونفاق أصغر.

قال ابن تيمية: (والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر)^(١).

١- النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر الإيمان والإسلام وهو كافر في الباطن، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن رجب: (النفاق الأكبر وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه)^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٤ / ٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٤٣١ / ١).

وقد يطلق الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق.

قال ابن القيم: (طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهرُوا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، هؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار)^(١).

٢- النفاق العملي (النفاق الأصغر):

وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرّاً، ومراعاتها علناً، مع الإيمان بالله وصحة الاعتقاد.

قال ابن رجب: (النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك)^(٢).

والنفاق الأصغر العملي قد يجتمع في قلب المسلم مع أصل الإيمان وهو من أكبر الذنوب والمعاصي، بخلاف النفاق الأكبر فإنه ينافي الإيمان، فلا يجتمع نفاق أكبر مع الإيمان بالله في قلب عبد.

(١) طريق الهجرتين (٥٩٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٣١).

ولكن إذا استحکم النفاق الأصغر وكمل؛ فقد يفضي بصاحبه إلى النفاق الأكبر والانسلاخ من الدين بالكلية.

والنفاق العملي لا يخلّد صاحبه في النار، بل حكمه حكم سائر أهل الكبائر، فإن شاء الله غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على ذنوبه ثم يكون مآله إلى الجنة.

والنفاق في الدين منه ما هو أصلي ومنه ما هو طارئ:

فالمقصود بالنفاق الأصلي، النفاق الذي لم يُسبق بإسلام صحيح، فقد تدفع المصلحة الدنيوية بعض الناس، إلى التظاهر بالانتساب للإسلام وهو غير مؤمن به في قلبه، فيكون منافقاً منذ اللحظة الأولى لإعلان إسلامه، ثم يستمر على هذا النفاق.

وقد يعلن بعض الناس إسلامهم وهم صادقون، ثم يطرأ الشك والنفاق على قلوبهم، بعد تعرضهم لابتلاءات مختلفة، يمتحن الله بها صدق إيمانهم، فيرتدون عن الإسلام ردة داخلية، ويخشون إعلان ردتهم، ويستمرون على التظاهر بالإسلام، مخافة إجراء أحكام الردة عليهم، أو مخافة فوات منافع دنيوية

تأتيهم بوصفهم مسلمين، أو مخافة تعرضهم للذم وفقدهم
مكانتهم في المجتمع، أو غير ذلك من صور المنافع التي
يرونها، فيستمرون على إظهار الإسلام بينما هم في الحقيقة
كافرون مرتدون.

الخوف من النفاق

اشتد خوف الصحابة ومن بعدهم من الصالحين من النفاق حتى كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ من التشهد في الصلاة يتعوذ بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟، فقال دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليقرب عن دينه في الساعة الواحدة فيُخلع منه ^(١).

وعن حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلوات الله عليه يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلوات الله عليه عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله، إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلوات الله عليه، قلت: نافق حنظلة يا رسول

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٢) قال الذهبي إسناده صحيح.

الله، فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذَّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»^(١).

ومعنى (نافق حنظلة): أنّه خاف أنّه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتّم خلافه من الشرّ، فخاف أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي ﷺ أنّه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك. «سَاعَةً وَسَاعَةً» أي: ساعة كذا وساعة كذا^(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنّازة فخرج

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/٦٦-٦٧).

فيها أو يريدھا، فتعلّقتُ به فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنّه من أولئك أي: من المنافقين، فقال: نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحداً بعدك^(١).

وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل^(٢).

وقال ابن القيم: (تالله، لقد ملئت قلوب القوم إيماناً و يقيناً، وخوفهم من النفاق شديد، وهمُّهم لذلك ثقیل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل)^(٣).

وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً^(٤).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦٣٧/٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٤٢/٣): رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (٢٦/١).

(٣) مدارج السالكين (٣٥٨/١).

(٤) إحياء علوم الدين (١٧٢/٤).

صفات المنافقين في الكتاب والسنة

جاء ذكر المنافقين في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في مواضع عديدة تبين صفاتهم، وتحذر المؤمنين منهم، حتى أفرد الله تعالى سورة خاصة بهم، ومن صفاتهم:

١- مرض القلب:

قال الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

قال ابن القيم: (قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصور السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترمى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(١)).

٢. الطمع الشهواني:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه، إما شاك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش^(١).

٣. التكبر والاستكبار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأْرَاءُ وَسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصْذُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم إذا قيل لهم: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأْرَاءُ وَسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصْذُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: صدّوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك، واحتقاراً لما قيل، ولهذا قال تعالى:

(١) جامع البيان (٢٠/٢٥٨).

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾. ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

٤- الاستهزاء بآيات الله:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنْكَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أي: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعَلَّ الله لا يفشي سرنا، فقال الله لنبية ﷺ: قل لهم: ﴿اسْتَزِرُوا﴾، متهدداً لهم متوعداً، ﴿إِنْكَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧٣).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٣١).

٥- الاستهزاء بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

قال ابن القيم: (لكل منهم وجهان: وجه يلقي به المؤمنون، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يترجم به عن سره المكنون.

وقد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلها واستحقاراً، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا أشراً واستكباراً، فتراهم أبداً بالتمسكين بصريح الوحي يستهزؤون ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١).

٦- صدّ الناس عن الإنفاق:

قال الله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧].

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلّى الله عليه وآله، فدعاني فحدّثته، فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذّبني رسول الله صلّى الله عليه وآله وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلّى الله عليه وآله ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾. فبعث إليّ النبي صلّى الله عليه وآله فقرأ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»^(١).

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

٧- السفه ورمي المؤمنين بالسفه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن القيم: (المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظّه من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا، فهمّه في حمل المنقول، وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة، وما هو عندهم بمقبول، وأهل الاتباع عندهم سفهاء، فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون)^(١).

٨- موالاة الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٠).

يقول الله لنبه: يا محمد ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء يعني أنصارا وأخلاء من دون المؤمنين، يعني: من غير المؤمنين. ﴿أَيَبْنَعُونَ عَنْهُمْ أَلْعِزَّةَ﴾ يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي ﴿فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء، فهلاً اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يعز من يشاء ويدل من يشاء، فيعزهم ويمنعهم^(١).

٩- التربص بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

(١) جامع البيان (٣١٩/٩).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾ الذين ينتظرون أيها المؤمنون بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: فإن فتح الله عليكم فتحا من عدوكم، فأفاء عليكم فيئا من المغانم، ﴿قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ نجاهد عدوكم، ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيبا من الغنيمة، فإننا قد شهدنا القتال معكم، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظ منكم بإصابتهم منكم ﴿قَالُوا﴾ يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ومنعكم منهم بتخذيّلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني: فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل بإدخال أهل الإيمان جنته، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره^(١).

١٠. مخادعة الله والكسل في العبادات:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

إن المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بالستهم من الإيمان، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر، استدراجاً منه لهم في الدنيا، حتى يلقيه في الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ فإنه يعني أن المنافقين لا يعملون شيئاً من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرب بها إلى الله، لأنهم غير موقنين بمعاد ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة بقاء على أنفسهم، وحذاراً من المؤمنين عليها أن يقتلوا أو يسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة

التي هي من الفرائض الظاهرة قاموا كسالى إليها رياء للمؤمنين؛ ليحسبوه منكم، وليسوا منهم؛ لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلعل قائلًا أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟! قيل له: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهب، إنما معناه: ولا يذكرون الله إلا ذكرا رياء؛ ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسبأ وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله، مخلص له الربوبية؛ فلذلك سماه الله قليلا؛ لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب إلى الله، ولا مرادا به ثواب الله وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نصب عامله وذاكره في معنى السراب الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء^(١).

١١- التذبذب والتردد:

قال الله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

عنى بذلك أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً»^(٢).

قال النووي: (العائرة: المترددة الحائرة، لا تدري لأيهما تتبع، ومعنى تعير أي: تردد وتذهب)^(٣).

(١) جامع البيان (٩/ ٣٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٢٨).

١٢- مخادعة المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩٠].

خداع المنافق ربّه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشكّ والتكذيب؛ ليدراً عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله ﷻ اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب، لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسب، فذلك خداعه ربّه وأهل الإيمان بالله^(١).

١٣- التحاكم إلى الطاغوت:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ

(١) جامع البيان (١/ ٢٧٢).

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٠﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

قال ابن القيم: (إن حاکمت المنافقين إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمدا بعيدا، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضا شديدا) ^(١).

١٤. الإفساد بين المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لأنهم جناء مخدولون، ﴿خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ﴾ أي: مطيعون

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٣).

لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحوهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدّي إلى وقوع شرّ بين المؤمنين وفساد كبير^(١).

١٥. الحلف الكاذب والخوف والجبن والهلع:

قال الله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (٥٦) لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿[التوبة: ٥٦، ٥٧].

ينخر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ ﴿يَمِينًا مَّوَكَّدَةً﴾ ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ ﴿أَي: فِي نَفْسِ الْأَمْرِ﴾ ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ ﴿أَي: فَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الْحَلْفِ﴾ ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾ ﴿أَي: حَصْنَا يَتَحَصَّنُونَ بِهِ، وَحِرْزًا يَتَحَرِّزُونَ بِهِ﴾ ﴿أَوْ مَغْرَبًا﴾ ﴿وَهِيَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ﴾ ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ ﴿وَهُوَ السَّرْبُ فِي الْأَرْضِ وَالنَّفَقُ﴾ ﴿مُدْخَلًا لَوَلَّوْا

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦٠).

إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿١﴾ أي: يسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة، وودّوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزّ ونصر ورفعة، فلهذا كلّما سرّ المسلمون ساءهم ذلك فهم يودّون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكَوْنَ﴾.

قال ابن القيم: (أحسن الناس أجسامًا وأخلبهم لسانًا وألطفهم بيانًا وأخبثهم قلوبًا وأضعفهم جنانًا، فهم كالخشب المستندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها؛ لئلا يطأها السالكون) (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٥٤).

١٦- يحبون أن يُخمدوا بما لم يفعلوا:

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ^(١).

١٧- يعيبون العمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخْطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].
يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي: ومن المنافقين ﴿ مَنْ يَلْمِزُكَ ﴾

(١) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

أي: يعيب عليك ﴿ فِي ﴾ قسم ﴿ الصَّدَقَتِ ﴾ إذا فرقتها، ويتهمك في ذلك، وهم المتهمون المأبونون، وهم مع هذا لا ينكرون للدين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن أعطوا من الزكاة ﴿ رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ أي: يغضبون لأنفسهم^(١).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: لما أمرنا بالصدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء، فتزلت: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٢).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨).

لا يسلم أحد من عيهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بهال جزيل قالوا: هذا مُراءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقته^(١).

١٨. الرضا بأسافل المواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

يقول تعالى منكرا وذاما للمتخلفين عن الجهاد الناكليين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول، واستأذنوا الرسول في القعود، وقالوا: ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما، كما قال تعالى

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٤).

عنهم في الآية الأخرى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْنَةِ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: علت ألسنتهم بالكلام الحادّ القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء^(١).

١٩- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال الله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: عن الإنفاق في

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٩٦).

سَبِيلَ اللَّهِ ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أَي: نسوا ذكر الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أَي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِيكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أَي: الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة^(١).

٢٠- كره الجهاد والتخلف عنه:

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بقعودهم بعد خروجه، ﴿وَكُرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ معه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾؛ وذلك أن

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٣).

الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والشار؛ فلهذا قالوا: لا تنفروا في الحر، قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مما فررتم منه من الحر، بل أشدَّ حرًّا من النار^(١).

٢١. التخذيل والإرجاف:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّأَهَّلُ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿[الأحزاب: ١٢ - ١٣].

٢٢. البطء عن المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لِّيُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٩).

هذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ أِيهَا الْمُؤْمِنُونَ، يعني: من عداكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم، وهو منافق يبطئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم، وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ يقول: فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ هَزِيمَةٌ أَوْ نَالَكُمْ قَتْلٌ أَوْ جَرَّاحٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ فيصيني جراح أو ألم أو قتل، وسره تخلفه عنكم شاة بكم؛ لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راج ثوابا، ولا خائف عقابا^(١).

٢٣. الاستئذان عن الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا نَفْتِيَّ^ع أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

(١) جامع البيان (٨/ ٥٣٨).

يقول تعالى: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد: ﴿أُذِنَ لِي﴾ في القعود ﴿وَلَا نَفْتِي﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا ^(١).

٢٤. اتخاذ الأعداء عند التغلف:

قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم، ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي: سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦١).

وَالشَّهَادَةَ فَيَنْتِظُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ أَي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويجزيكم عليها^(١).

٢٥- الاستخفاء من الناس:

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس؛ لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم، وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ تهديد لهم ووعيد^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٧).

٢٦- الفرع بما يصيب المؤمنين من ضراء:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ مِّنَ اللَّهِ عِلْمٌ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَّسُوْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوا بِهَا وَإِن نَّصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي: يسعون في مخالفتهم، وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشقّ عليهم^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/١٠٦).

۲۷۔ إذا أوتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اِلٰهَ لَئِنْ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝۷۵﴾ فَلَمَّا اٰتٰهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿[التوبة: ٧٥-٧٧].

يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهدَهُ وميثاقَهُ
لأنَّ أغناهُ من فضلِهِ ليصدقنَّ من مالِهِ، وليكوننَّ من الصالحين،
فما وفَّى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع
نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله ^{عَزَّ وَجَلَّ} يوم القيامة، عياداً
بالله من ذلك ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيهِمُ
الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال ابن القيم: (رأس ما لهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والخسر، وعندهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٣).

راضون، وهم بينهم آمنون، ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢).

قال النووي: (هذا الحديث مما عدّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدّق الذي ليس فيه شك، فإن إخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثر هو الصحيح المختار: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلّق بأخلاقهم، فإن النفاق هو

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعدته وأتتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «كان منافقا خالصا» معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه، وهذا هو المختار في معنى الحديث^(١).

٢٨ - تأخير الصلاة عن وقتها:

عن العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك رضي الله عنه في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجانب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٤٦-٤٧).

انصرفنا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»^(١).

قال ابن القيم: (يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى^(٢))، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفات الثعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب^(٣).

٢٩ - التخلف عن صلاة الجماعة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته

(١) رواه مسلم (٦٢٢).

(٢) قال في القاموس (١١٥٨): لم يبق من النهار إلا بقدر ما يبقى من نفس المحتضر إذا شرق بريقه.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٤).

لتركتكم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»^(١).

قال الشُّمْنِي: (ليس المراد بالمنافق ها هنا من يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وإلا لكانت الجماعة فريضة؛ لأن من يبطن الكفر كافر، ولكان آخر الكلام مناقضاً لأوله)^(٢).

٣٠- البذاء والبيان:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلی الله عليه وسلم قال: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) ينظر: عون المعبود (١٧٩/٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٢٧)، وصححه الحاكم.

قال الترمذي: (والعِيَّ قَلَّةُ الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسَّعون في الكلام، ويتفصَّحون فيه، من مدح الناس فيما لا يُرضي الله).

وقال ابن القيم: (وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم. وليس على الأديان أضرّ من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جَلَّى الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبيّن أحوالهم، وكرّر ذكرهم؛ لشدة المؤنة على الأمة بهم وعِظَم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرّز من مشابهمهم والإصغاء إليهم، فكم قطعوا على السالكين إلى الله طريق الهدى، وسلّكوا بهم سبل الردى، وعدّوهم ومنّوهم، ولكن وعدوهم الغرور، ومنّوهم الويل والثبور)^(١).

(١) طريق الهجرتين (٦٠٣).

٣١- سماع الغناء:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب^(١).

قال ابن القيم: (فإن أساس النفاق: أن يخالف الظاهر الباطن وصاحب الغناء بين أمرين إما أن يتهتك فيكون فاجراً أو يظهر النسك فيكون منافقاً، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو وما يدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر وهذا محض النفاق... وأيضاً فمن علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا وصفه، وأيضاً: فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر؛ فإنه يحسن القبيح ويزينه ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق، وأيضاً فإن النفاق غش ومكر وخداع، والغناء مؤسس على ذلك^(٢).

(١) شعب الإيمان (١٠/٢٢٣).

(٢) إغاثة اللفهان (١/٢٥٠).

الوقاية من النفاق

حتى يقي المسلم نفسه من النفاق يتحتم عليه التحلي بالصفات الحسنة والأعمال الصالحة، والتي منها:

١- التبكير للصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَنْ صَلَّى لَهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ»^(١).

(براءة من النار) أي خلاص ونجاة منها يقال برأ من الدين والعيب خلص (وبراءة من النفاق) قال الطيبي أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوفقه لعمل أهل الإخلاص، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذبه المنافق ويشهد له بأنه غير منافق يعني بأن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وحال هذا بخلافهم كذا في المرقاة^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذى (٢/ ٤٠).

٢- حسن الخلق والتفقه في الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهُ فِي الدِّينِ»^(١).
 (حسن سمت) تحري طرق الخير والتزي بزي الصالحين
 مع التنزه عن المعائب الظاهرة والباطنة.
 (ولا فقه في الدين) عطف بلا لأن حسن سمت في سياق
 النفي فلا لتأكيد النفي المساق^(٢).

٣- الصدقة:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه:
 «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ
 نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ
 عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٤)، وصححه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذى (٣٧٨ / ٧).

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).

الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدونها فمن تصدق استدل بصدقه على صدق إيمانه^(١).

٤ - قيام الليل:

قال قتادة: يقال: قلما ساهر الليل منافق^(٢).

وذلك لأن المنافق إنما ينشط للعمل الصالح إذا رآه الناس فإن كان خاليا لم يكن عنده الدافع للعمل الصالح. فإذا قام العبد الليل فهو دليل على عدم نفاقه، وعلى صدقه في إيمانه.

٥ - الجهاد في سبيل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (٣/١٠١).

(٢) حلية الأولياء (٢/٣٣٨).

(٣) رواه مسلم (١٩١٠).

قال النووي: (المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق. وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجّه عليه من الذم ما يتوجّه على من مات ولم ينوها)^(١).

٦- كثرة ذكر الله:

قال ابن القيم: (إن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ، قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال كعب: من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق. ولهذا - والله أعلم - ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ فوقعوا في النفاق.

(١) شرح النووي على مسلم (٥٦/١٣).

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: (لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً). فهذا من علامة النفاق: قلة ذكر الله عز وجل، وكثرة الأمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يتلى قلبا ذاكرا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل ^(١).

٧- الدعاء:

عن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بحمص، فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبا الدرداء، ما أنت والنفاق؟ قال: (اللهم غفرًا - ثلاثا -، من يأمن البلاء؟! من يأمن البلاء؟! والله إن الرجل ليفتن في ساعة فينقلب عن دينه) ^(٢).

(١) الوابل الصيب (١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٢) قال الذهبي إسناده صحيح.

٨- حُبُّ الْأَنْصَارِ ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(١).

٩- حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه:

عن زر قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا الْمُؤْمِنُ وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢).

(١) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٧٨).

موقف المسلم من المنافقين

يجب عدم التهاون مع المنافقين، ولا يجوز التقليل من خطرهم، والمنافقون اليوم أشد خطراً منهم على عهد النبي ﷺ.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون ^(١).

والموقف منهم كالتالي:

١- عدم طاعتهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك، والانتفاء عن محارمه وانتهاك حدوده، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾

الذين يقولون لك: اطرده عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه^(١).

٢. الإعراض عنهم وزجرهم وعظهم:

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

(١) جامع البيان (٢٠/٢٠٢).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك - يا محمد - صفتهم، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في احتكامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك، وصدودهم عنك، من النفاق والزيف، وإن حلفوا بالله ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ﴾ يقول: فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم، ولكن عظمهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعدته ووعيده^(١).

٣- عدم المجادلة أو الدفاع عنهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

يعنى بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾ يا محمد فتخاصم

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني: يخونون أنفسهم، يجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله وهم بنو أبيرق، يقول: لا تخصم عنهم من يطالبهم بحقوقهم، وما خانوه فيه من أموالهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ يقول: إن الله لا يحب من كان من صفته خيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره، مما حرمه الله عليه^(١).

٤- النهي عن موالاتهم والركون إليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم، ويصافونهم المودة بالأسباب التي

(١) جامع البيان (٩/ ١٩٠).

كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك، وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم^(١).

٥ - جهادهم والغلبة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

يقول تعالى ذكره: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف والسيوف، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين، فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به، وبه قال ابن مسعود رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب^(٢).

(١) جامع البيان (٧/ ١٤٠).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٦٠).

٦- تحقيرهم وعدم تسويدهم:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِن يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

٧- عدم الصلاة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

عن عبد الله قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «إِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ فَأَذِنَّا»، فلما فرغ أذنه به، فجاء ليصلي عليه، فجذبه عمر، فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟! فقال:

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٧) وصححه الألباني.

﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾، فنزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾. فترك الصلاة عليهم^(١).

(١) رواه البخاري (٥٧٩٦).

الخاتمة

تبين مما سبق ذكره خطورة النفاق، وأنه مرض عضال، وخلق ذميم وصف النبي ﷺ المتخلق به بالغدر والخيانة والكذب والفجور؛ لأن صاحبه يظهر خلاف ما يطن، فهو يدعي الصدق وهو يعلم أنه كاذب، ويدعي الأمانة وهو يعلم أنه خائن، ويدعي المحافظة على العهد وهو غادر به، ويرمي خصومه بالافتراءات وهو يعلم أنه فاجر فيها، فأخلاقه كلها مبنية على التدليس والخداع، ويخشى على من كانت هذه حاله أن يبتلى بالنفاق الأكبر، ذلك أن النفاق العملي - وإن كان من جملة الذنوب التي لا تخرج العبد من الملة - إلا أنه إذا استحكم بالعبد وحول سلوكه إلى حالة من الخداع والتلون المستمر، فربما بلغ به إلى معاملة ربه بما يعامل به خلقه، فينزح من قلبه الإيثار ويبدله نفاقاً، عقوبة منه وزجراً.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد ﷺ

اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١- عرف النفاق في اللغة والشرع؟.
- ٢- ما هي أنواع النفاق؟.
- ٣- ما الفرق بين النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي؟.
- ٤- للمنافقين صفات وسمات خاصة، فما هي أبرزها؟.
- ٥- كيف يقي المسلم نفسه من النفاق؟.
- ٦- ما هو الموقف الشرعي من المنافقين؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١- ما الفرق بين النفاق الأصلي والنفاق الطارئ؟.
- ٢- لماذا ظهر النفاق في المدينة ولم يظهر في مكة؟.
- ٣- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في

القلب)، وضح ذلك.

٤- ذكر النووي أن العلماء استشكلوا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، فما المعنى الصحيح للحديث؟.

٥- اذكر بعضا من أسماء السور التي تحدثت عن النفاق والمنافقين؟.

المحتويات

٥ مقدمة
٧ تعريف النفاق
٨ أنواع النفاق
١٢ الخوف من النفاق
١٥ صفات المنافقين في الكتاب والسنة
٤٧ الوقاية من النفاق
٥٣ موقف المسلم من المنافقين
٦٠ الخاتمة
٦١ اختبر فهمك
٦٣ المحتويات